الدبلوماسية البريطانية ـ الفرنسية في عمان خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر(البعثات والمعاهدات أهدافها وبنودها ونتائجها)

الدكتور المشرف : علاء الدين بور .

الدكتور المشارك : ربيع عثمان

الطالبة : سناء محمد يوسف .

ملخص البحث

يتناول هذا البحث دراسة شاملة للنشاط الدبلوماسي والتجاري البريطاني والفرنسي في سلطنة عُمان خلال الفترة ما بين1800 و1856م، وهي مرحلة شهدت تكثيف البعثات الرسمية وتوقيع معاهدات محورية، في إطار تنافس استعماري على السيطرة على طرق التجارة والممرات البحرية في الخليج العربي والمحيط الهندي.

تناول البحث البعثات البريطانية، بدءًا من تأثير السير جون مالكوم غير المباشر، مروراً بمهمات الكابتن ديفيد سيتون، وهنري ريلووك، وهنري هارت، وصولاً إلى الدور البارز للقنصل أتكينز هامرتون في زنجبار، مع تحليل المعاهدات الكبرى مثل اتفاقية الصداقة لعام 1798، ومعاهدة 1800، ومعاهدة مورسبي 1822، ومعاهدة التجارة والملاحة 1839، وانتهاءً بدور بريطانيا في تقسيم السلطنة عام 1856، كما استعرض المبحث الثاني البعثات الفرنسية، التي سعت لمزاحمة النفوذ البريطاني عبر محاور دبلوماسية وتجارية متعددة.

وتوصلت الدراسة إلى أن بريطانيا نجحت في ترسيخ حضور طويل المدى في عمان عبر الدمج بين النشاط الدبلوماسي والمعاهدات ذات الطابع التقييدي، بينما ظل الحضور الفرنسي محدود التأثير رغم محاولاته المستمرة. كما أظهرت النتائج أن السياسة العُمانية اتسمت بالحذر والانفتاح المشروط، حفاظاً على التوازن بين القوى الأوروبية وحماية المصالح الوطنية.

الكلمات المفتاحية: عمان، بريطانيا، فرنسا، القرن التاسع عشر، البعثات الدبلوماسية، المعاهدات الدولية، الخليج العربي.

British-French diplomacy in Oman during the first half of the nineteenth century. the first half of the nineteenth centur (Missions and treaties ,their objectives, clauses and results)

Abstract

This research presents a comprehensive study of British and French diplomatic and commercial activities in the Sultanate of Oman during the period from 1797 to 1861, a time marked by an Increase in official missions and the signing of pivotal treaties within the context of colonial competition for control over trade routes and maritime passages In the Arabian Gulf and the Indian Ocean.

The study addresses British missions, starting with the indirect Influence of Sir John Malcolm, followed by the missions of Captain David Seaton, Henry Rilowk, and Henry Hart, culminating in the prominent role of Consul Atkin Hamerton in Zanzibar. It analyzes major treaties such as the Treaty of Friendship in 1798, the Treaty of 1800, the Moresby Treaty of 1822, and the Treaty of Trade and Navigation In 1839, concluding with Britain's role In the division of the Sultanate in 1856. The second section examines French missions that sought to challenge British influence through various diplomatic and commercial avenues.

The study concludes that Britain succeeded in establishing a long-term presence in Oman by combining diplomatic activity with restrictive treaties, while the French presence remained limited in impact despite their continuous efforts. The results also Indicate that Omani policy was characterized by caution and conditional openness, aimed at maintaining a balance between European powers and protecting national interests

المقدمة

Keywords: Oman, Britain, France, nineteenth century, diplomatic missions, international treaties, Arabian Gulf.

شهدت سلطنة عُمان خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر مرحلة شديدة الأهمية في تاريخها السياسي والعلاقات الدولية، حيث أصبحت موضع اهتمام القوى الأوروبية الكبرى، وفي مقدمتها بريطانيا وفرنسا، اللتين دخلتا في منافسة حادة للسيطرة على طرق الملاحة والتجارة في الخليج العربي والمحيط الهندي ، وقد انعكست هذه المنافسة في إرسال بعثات دبلوماسية وتجارية متكررة، وتوقيع سلسلة من المعاهدات التي تجاوزت طابع الصداقة والتبادل التجاري إلى ترتيبات سياسية واستراتيجية أثّرت على سيادة الدولة العُمانية.

لقد مثّل الموقع الجغرافي لعُمان، إلى جانب امتداد نفوذها البحري حتى زنجبار وشرق إفريقيا، عامل جذب استراتيجي للقوى الاستعمارية، التي وجدت فيها شريكاً لا غنى عنه لتحقيق مصالحها، وفي الوقت ذاته ساحة صراع لإقصاء الطرف المنافس، ووسط هذا التنافس أبدت القيادة العُمانية ممثلة بالسلاطين من آل بوسعيد، مرونة دبلوماسية وحنكة سياسية مكّنتها من الموازنة بين علاقاتها مع الطرفين، مع محاولة الحفاظ على استقلال القرار الوطني في مواجهة الضغوط المتزايدة.

يأتي هذا البحث ليدرس بعمق طبيعة البعثات البريطانية والفرنسية إلى عمان بين عامي 1800 و1856م، والمعاهدات التي أبرمت خلالها، وردود الفعل العُمانية عليها، مع تحليل الأبعاد السياسية والاقتصادية والاجتماعية لهذه التحركات، في ضوء سياق التنافس الدولي في المنطقة.

أولاً- إشكالية البحث

تكمن إشكالية هذا البحث في محاولة الإجابة عن السؤال الرئيسي :

كيف أثرت البعثات الدبلوماسية والمعاهدات البريطانية والفرنسية على السيادة السياسية والمصالح الاستراتيجية لسلطنة عُمان خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر؟

ويتفرع عن ذلك عدة تساؤلات فرعية، منها:

1. ما أهداف تلك البعثات والاتفاقيات من منظور القوى الأوروبية؟
2. كيف كانت ردود الفعل العُمانية تجاه هذه التحركات؟
3. ما أوجه التشابه والاختلاف بين النهج البريطاني والفرنسي في التعامل مع عمان؟

ثانياً - أهمية البحث

تنبع أهمية هذا البحث من كونه يقدم دراسة مقارنة ومعمقة للعلاقات العُمانية مع قوتين أوروبيتين متنافستين، بريطانيا وفرنسا، خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر، وهي مرحلة أساسية في تشكل النظام السياسي في الخليج العربي. ويسهم البحث في:

1. توثيق وتحليل طبيعة البعثات الدبلوماسية والتجارية البريطانية والفرنسية إلى عمان، وربطها بالسياق الاستعماري الأوسع في المحيط الهندي والخليج.

2. إبراز دور المعاهدات الثنائية في إعادة تشكيل موازين القوى، خاصة ما يتعلق بالسيادة العُمانية والهيمنة البحرية الأوروبية.

٣. توضيح الاستراتيجية العُمانية في التعامل مع القوى الكبرى، من خلال سياسة الحذر والانفتاح المشروط للحفاظ على استقلال القرار السياسي.

4. إثراء المكتبة العربية بدراسة أكاديمية تجمع بين البعد الدبلوماسي والتجاري، وتربط الأحداث المحلية بالتفاعلات الدولية الكبرى.

ثالثاً - فرضيات البحث

ينطلق البحث من الفرضيات التالية:

1. أن النشاط الدبلوماسي البريطاني في عمان خلال الفترة 1800–1856م) كان أكثر انتظامًا وتأثيرًا من نظيره الفرنسي، مما أتاح لبريطانيا فرض نفوذ طويل المدى عبر المعاهدات والتمثيل الدائم.

2. أن المعاهدات الموقعة، خاصة معاهدات 1798، 1800، 1822، 1839، أسهمت في تقييد حرية السلطنة في رسم سياساتها البحرية والتجارية، رغم أنها أظهرت في ظاهرها طابع التعاون والصداقة.

3. أن السياسة العُمانية اعتمدت على مبدأ التوازن الدبلوماسي بين القوى الأوروبية، لتفادي الخضوع التام لأي طرف، لكنها لم تتمكن من منع التدخلات الأجنبية في القضايا الداخلية، مثل تقسيم السلطنة عام 1856م.

رابعاً - حدود البحث

الحدود الزمنية: يغطي البحث الفترة الممتدة من عام 1800م حتى عام 1856م، وهي مرحلة شهدت تكثيف البعثات البريطانية والفرنسية إلى عمان، وتوقيع أهم المعاهدات الثنائية، وانتهت بحدث مفصلي هو تقسيم السلطنة.

الحدود المكانية: سلطنة عمان بموانئها ومناطق نفوذها البحري في الخليج العربي والمحيط الهندي، مع الإشارة إلى زنجبار وشرق إفريقيا بوصفها امتدادًا استراتيجيًا للسلطنة.

الحدود الموضوعية: دراسة البعثات والمعاهدات البريطانية والفرنسية مع عمان، وتحليل ردود الفعل العُمانية عليها، دون التطرق إلى العمليات العسكرية إلا بقدر ارتباطها المباشر بالتحركات الدبلوماسية.

خامساً - منهج البحث

اعتمد البحث على المنهج التاريخي التحليلي، الذي يقوم على جمع المعلومات من المصادر الأولية (المعاهدات، الوثائق الأرشيفية، المراسلات الدبلوماسية) والمصادر الثانوية (الدراسات الأكاديمية والأبحاث التاريخية الحديثة)، ثم تحليلها في ضوء السياق الإقليمي والدولي في القرن التاسع عشر.

كما استخدم البحث المنهج المقارن للموازنة بين أساليب بريطانيا وفرنسا في التعامل مع عمان، وقياس أثر كل منهما على سيادة الدولة وسياساتها الخارجية. وقد تم تتبع مسار الأحداث وفق تسلسلها الزمني، مع تحليل دوافع كل بعثة ونتائجها، وبيان أثر المعاهدات على الواقع السياسي والاقتصادي للسلطنة.

سادساً - الدراسات السابقة

أولاً: الدراسات العربية

1. البوسعيدي، سيف بن علي (2005) – **العلاقات العمانية – البريطانية في القرن التاسع عشر**، رسالة ماجستير، جامعة السلطان قابوس.

تناولت هذه الرسالة طبيعة المعاهدات التي أبرمتها بريطانيا مع عمان، وخاصة معاهدة الصداقة عام 1798، وأثرها في تعزيز النفوذ البريطاني في الخليج العربي.

ركزت الدراسة على البعد السياسي للعلاقات الثنائية، لكنها لم تتوسع في تناول النشاط الدبلوماسي الفرنسي أو المقارنة بين الطرفين.

2. الحارثي، خميس بن سعيد (2010) – **السياسة الخارجية لسلطنة عمان في عهد السيد سعيد بن سلطان**، أطروحة دكتوراه، جامعة الإسكندرية.

ركزت الأطروحة على امتداد النفوذ العُماني إلى زنجبار، وانعكاسات ذلك على التوازن الإقليمي في المحيط الهندي، مع إشارات محدودة للتنافس البريطاني – الفرنسي، لكنها لم تقدم دراسة مقارنة منهجية بين أساليب الطرفين في التعامل مع عمان.

3. الشقيري، ناصر (2016) – **المعاهدات الدولية وأثرها على سيادة عمان في القرن التاسع عشر**، بحث محكّم، مجلة الخليج للتاريخ والآثار.

تناول البحث الأبعاد القانونية للمعاهدات التي أبرمتها عمان، بما في ذلك بعض المعاهدات الفرنسية، لكنه جاء مختصرًا في الجانب التاريخي والدبلوماسي، ولم يربط الأحداث بسياقها الدولي الواسع.

ثانيًا: الدراسات الأجنبية

1- Kelly, J.B. (1968) – Britain and the Persian Gulf 1795–1880، كتاب

يقدم هذا العمل تحليلاً معمقاً للسياسة البريطانية في الخليج العربي، ويولي اهتماماً بالعلاقات البريطانية – العمانية بوصفها جزءاً من الاستراتيجية البريطانية الشاملة في المحيط الهندي، لكنه لم يتناول الدور الفرنسي إلا بشكل عرضي.

2- Miles, Samuel Barrett (1919) – The Countries and Tribes of the Persian Gulf، كتاب

يعد من الأعمال الكلاسيكية التي تصف الأوضاع السياسية والقبلية في الخليج، ويتضمن معلومات مهمة عن المعاهدات البريطانية – العمانية، لكنه يفتقر إلى التحليل المقارن للتنافس البريطاني – الفرنسي.

3- Bidwell, Robin (1975) – Travels in Arabia Deserta، كتاب .

تضمن إشارات لبعض التحركات الدبلوماسية لكل من بريطانيا وفرنسا في عمان، لكنه جاء في سياق وصفي ورحلات ميدانية أكثر منه دراسة تاريخية تحليلية متكاملة.

سابعاً – الإطار النظري

أولاً : البعثات الدبلوماسية والتجارية البريطانية إلى عُمان نتائجها وردود الفعل العُمانية (1800–1861م)

1- بعثة السير جون مالكوم (1800–1820م)

يُعد السير جون مالكوم من أبرز الشخصيات الدبلوماسية التابعة لشركة الهند الشرقية البريطانية في مطلع القرن التاسع عشر، وقد برز اسمه ضمن الاستراتيجية العامة للتوسع البريطاني في منطقة الخليج العربي، وعلى الرغم من أن مالكوم لم يقم ببعثة مباشرة إلى سلطنة عُمان إلا أن تأثيره كان حاضراً بشكل غير مباشر من خلال مشاركته في تشكيل السياسة البريطانية الإقليمية، خصوصاً عبر بعثاته المتعددة إلى بلاد فارس وكتاباته المؤثرة في دوائر صنع القرار البريطاني، و قاد مالكوم ثلاث بعثات رئيسة إلى بلاد فارس: [1]

1. الأولى في عام 1800–1801.
2. الثانية عام 1808–1809 بالاشتراك مع السير هارفورد جونز.
3. الثالثة عام 1810.

تمحورت هذه البعثات حول تأمين مصالح بريطانيا في مواجهة النفوذين الفرنسي والروسي، وإعادة بناء التحالفات الاستراتيجية في المنطقة، وبالرغم من تركيزه الدبلوماسي على بلاد فارس، فقد شكّلت تقاريره وكتبه لا سيما *"عرض تاريخي للوضع السياسي في الهند "*(1811)، و"تاريخ بلاد فارس " (1815)، مصادر مهمة ساعدت في بلورة الرؤية البريطانية تجاه منطقة الخليج، بما في ذلك عُمان [2].

[1] لوريمر ،(ج): دليل الخليج القسم التاريخي ،قسم الترجمة بمكتب صاحب السموأمير دولة قطر ،الدوحة،د.ط،د.ت،ج1،ص270.

[2]-Al-Mousawi, Hussain Ben-Al-Seyed-Yousuf Hashim (1990) A history of Omani-British relations, with special reference to the period 1888-1920. PhD thesis, University of Glasgow.,.

يُلاحظ أن التأثير غير المباشر لمالكوم تمثل في دعمه لتوسيع النفوذ البريطاني في الخليج العربي، وفي مساهمته في رسم السياسات العامة لشركة الهند الشرقية تجاه الحكام المحليين في المنطقة، كما أسهمت معارفه وتحليلاته السياسية والاجتماعية في تمهيد الطريق لبعثات دبلوماسية وتجارية لاحقة إلى سلطنة عُمان، مثل بعثات ديفيد سيتون والكابتن بيلي، والملازم بروس، أما فيما يتعلق برد الفعل العُماني فقد اتسم عموماً بالحذر والانفتاح المشروط، إذ رحب السيد سلطان بن أحمد، حاكم عُمان آنذاك، بأي مسعى يعزز من المصالح المشتركة، لكنه كان مدركاً في الوقت ذاته للبعد الاستعماري الكامن في التحركات البريطانية، هذا التوازن العُماني في التعامل مع القوى الأجنبية عكس فطنة سياسية ساهمت في الحفاظ على استقلال القرار العُماني لفترة طويلة [3].

2- بعثة الكابتن ديفيد سيتون (1800–1804)

أوفدت حكومة بومباي الكابتن ديفيد سيتون رسمياً كمقيم سياسي بريطاني في مسقط عام 1800، كجزء من جهود الإمبراطورية البريطانية لتوسيع النفوذ التجاري والسياسي في منطقة الخليج ومواجهة التمدد الفرنسي في سلطنة عُمان وسواحلها، وتم تكليفه بتوطيد العلاقات مع السلطان سعيد بن سلطان، وضمان أمن الملاحة البريطانية نحو الهند. وكان رد فعل المسؤولين العُمانيين، لا سيما السلطان سعيد حذراً نتيجة تكرار البعثات البريطانية، الأمر الذي دفعهم لأخذ موقف مشروط تجاه سياسة لندن المستقبلية، وكان هذه الحذر العُماني لم يقتصر على استجابة دبلوماسية بل كان يعكس وعياً استراتيجياً بمخاطر النفوذ الاستعماري [4].

تشير الوثائق البريطانية في يوميات سيتون، إلى أن بعثته لم تحقق أهدافها الدبلوماسية بالكامل مقارنة بما أنجزته بعثة مالكوم، إلا أن أثرها كان واضحاً في تمهيد الطريق أمام بعثات لاحقة أكثر

[3] - Sir John Malcolm , The History of Persia, from the Most Early Period to the Present Time , London: John Murray, 1815, p 462-464.

[4] - Hilal Hajari, Oman through British Eyes: British Travel Writing on Oman from 1800 to 1970, University of Warwick, 2003.

تنظيماً واستهدافاً ، وهو ما ساهم في ترسيخ الوجود البريطاني كقوة سياسية فاعلة في الخليج مطلع القرن التاسع عشر.

أهم أحداث بعثة سيتون (1800–1804):

1. تعيينه كمقيم سياسي في مسقط (1800).

2. بدء المراسلات مع السلطان سعيد حول النفوذ الفرنسي وأمن الملاحة (1801–1802).

3. طلب مقر دائم وبدلات إضافية (1803).

4. تصاعد التوتر مع السلطنة وتجميد بعض الصلاحيات (1804) [5]

3- بعثة العقيد هنري ريلووك إلى عمان (1821)

تأتي بعثة الكولونيل هنري ريلوك ضمن سلسلة البعثات البريطانية التي هدفت إلى تدعيم الحضور البريطاني في الخليج العربي، ولا سيما في سلطنة عمان، التي كانت تمثل نقطة استراتيجية هامة على طرق الملاحة إلى الهند، وقد أُرسل ريلوك في عام 1821م بتكليف مباشر من حكومة بومباي، وكان من أبرز مهامه متابعة تنفيذ الاتفاقيات السابقة، وبحث سبل تعزيز التعاون السياسي والاقتصادي مع السيد سعيد بن سلطان الذي كان قد بسط سلطته على عمان وزنجبار آنذاك [6].

تميزت هذه البعثة بطابع سياسي أكثر من كونها تجارية، إذ حمل ريلوك رسالة دبلوماسية رسمية تؤكد دعم بريطانيا لحكم سعيد بن سلطان، وتشير إلى رغبة بريطانيا في استمرار علاقات التحالف مع عمان في مواجهة التحركات الفرنسية المتزايدة، خاصة بعد نشاط بعض البعثات الفرنسية في

[5] - David Seton ,The Journals of David Seton in the Gulf, 1800–1809, University of Exeter Press, 1995, 1-25.

[6]- محمد العيدروس، تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، كلية الآداب، جامعة الكويت، 1998، ص 147..

البحر الأحمر واليمن. كما سعت البعثة إلى جمع معلومات استخباراتية حول النفوذ الفرنسي في المنطقة وحركة السفن الأوروبية المنافسة [7].

قوبلت البعثة البريطانية بالترحيب الرسمي من قبل السلطان سعيد، لكنها لم تكن خالية من الحذر فقد كانت السلطات العمانية تدرك بوضوح الأطماع الاستعمارية الكامنة خلف التوسع الدبلوماسي البريطاني، لا سيما أن بريطانيا لم تكن تكتفي بالعلاقات المتوازنة، بل كانت تسعى لإعادة تشكيل النظام الإقليمي في الخليج وفقاً لمصالحها، ومع ذلك فقد استفادت عمان من هذه البعثات في توثيق علاقاتها الدولية وتحقيق بعض التوازنات في ظل التنافس الدولي.

وكان هناك عدة أنشطة والنتائج الإقليمية:

١. التفاوض لتعميق التحالف مع السلطان سعيد.

٢. مراقبة الفصائل القبلية البحرية، خاصة القواسم.

٣. دعم عمليات بريطانية للقضاء على القرصنة في الخليج.

٤. تمهيد الأراضي لعلاقات سياسية موسعة وشبه حماية بريطانية لعُمان في السنوات العشرين التالية [8].

4- بعثة الكابتن هنري هارت البريطانية إلى عُمان (1822)

[7]- علي ناجح محمد، التنافس البريطاني الفرنسي في عُمان 1806 -1829. مجلة كلية المعارف الجامعة، ٢٠١٩، جامعة الموصل ، ص ١٩.

[8]- George Percy Badger , History of the Imāms and Seyyids of ’Omān، London: Printed for the Hakluyt Society، 1871, p254.

تم تعيين الكابتن هنري هارت في عام 1822 وكيل سياسي بريطاني إلى سلطنة عمان، في خضم جهود بريطانية مكثفة لبسط نفوذها السياسي والاقتصادي في الخليج، مستفيدة من تجارب مسبقة لوكلاء مثل ديفيد سيتون وهنري ريلووك، كان هدفه الرئيسي تعزيز العلاقات مع السلطان سعيد بن سلطان وحماية المصالح البريطانية في الممرات البحرية الاستراتيجية، والتنبه للنفوذ الفرنسي والأوروبي، كما شمل دور البعثة دعم حملات مكافحة القرصنة، وخاصة تلك المرتبطة بقبيلة القواسم والتفاوض على اتفاقيات تجارية لتحقيق المصالح البريطانية في المنطقة [9].

ومن أهم الأنشطة والنتائج في الوقت آنذاك:

1. إجراء مفاوضات دبلوماسية مباشرة مع السلطان سعيد وزعماء محليين.

2. تنسيق بين البحرية البريطانية والسلطات العمانية للقضاء على نشاطات القراصنة.

3. إرسال تقارير سياسية واقتصادية إلى لندن لتقييم الوضع في السلطنة.

4. التفاوض على اتفاقيات أولية للتعاون السياسي والتجاري.

لم تُحقق بعثة هارت كافة أهدافها مقارنة بما أنجزته بعثات سيتون وريلووك، إلا أنها أسهمت بشكل واضح في ترسيخ الحضور الرسمي لبريطانيا في عمان، ومهدّت الطريق لعلاقات أكثر وضوحاً وتنظيماً خلال القرن التاسع عشر [10] .

5- بعثة القنصل أتكينز هامرتون (Atkins Hamerton) إلى زنجبار (1840–1857)

[9] - James Onley (2004)، Britain's Native Agents in Arabia and Persia in the Nineteenth Century", Comparative Studies of South Asia Africa and the Middle East.
[10] -Mousawi, Hussain Ben-Al-Seyed-Yousuf Hashim (1990) A history of Omani-British relations, with special reference to the period 1888-1920.PhD thesis.

شكّلت بعثة الكابتن أتكينز هامرتون (Atkins Hamerton) إلى زنجبار واحدة من أبرز محطات التمثيل الدبلوماسي البريطاني في شرق إفريقيا خلال القرن التاسع عشر، إذ عُيِّن هامرتون أول قنصل بريطاني دائم في المنطقة عام 1840م، ليُقيم في مدينة زنجبار الخاضعة آنذاك لنفوذ السلطنة العُمانية بقيادة السلطان سعيد بن سلطان، حيث جاء هذا التعيين في سياق التحول الاستراتيجي للسياسة البريطانية من سياسة البعثات المؤقتة إلى التمثيل الدائم، بما يعكس تزايد أهمية شرق إفريقيا ضمن أولويات المصالح البريطانية في المحيط الهندي والخليج العربي [11].

. ارتبط تعيين هامرتون بتحوّل مركز ثقل السلطنة من مسقط إلى زنجبار، حيث أسّس السلطان سعيد بن سلطان هناك قاعدة سياسية واقتصادية جديدة، ما دفع بريطانيا إلى تعزيز وجودها المباشر لمراقبة مجريات الأمور، ومواكبة تصاعد النفوذ الفرنسي في السواحل الإفريقية خاصة بعد محاولة باريس توطيد علاقاتها مع السلطنة عبر التبادل التجاري والمراسلات الرسمية. وفي هذا الإطار، كُلّف هامرتون بمهام متعددة شملت مراقبة التحركات الفرنسية، والإشراف على تنفيذ الاتفاقيات البحرية البريطانية-العُمانية، وضبط الأنشطة التجارية، إلى جانب الضغط الدبلوماسي على السلطان لإلغاء

تجارة الرقيق، وهي المهمة التي تبنّتها بريطانيا كسياسة أخلاقية وإستراتيجية في آن واحد [12].

خلال فترة عمله التي امتدت لقرابة 17 عاماً، نسج هامرتون علاقات مع السلطان العُماني تميّزت بالتقارب السياسي من جهة والتوتر أحياناً من جهة أخرى، لاسيما حين تعارضت المصالح البريطانية مع السيادة العُمانية، ومع ذلك، نجح في إبرام ما عُرف بـ"اتفاقية هامرتون" عام 1845م، والتي هدفت إلى منع تصدير العبيد من زنجبار إلى الخليج العربي، إلا أن تنفيذ الاتفاق

[11]- Fatima Al-Hatimiyah & Muhammad Al-Tarawneh (2022), the journey of Captain Hammerton from Muscat to Zanzibar in the year 1257 AH / 1841 AD – Study and investigation. Journal of Misan Researches, 18(35), 160–197.

[12]- موقع الكتروني تم وضعه من قبل الباحثة : https://www.pdavis.nl/Frere.htm?utm ، تاريخ الوصول 2025/7/4.

واجه صعوبات عملية نتيجة للتركيبة الاقتصادية والسياسية المعقدة في المنطقة، وقد أدت بعثة هامرتون دوراً محورياً في ترسيخ الحضور البريطاني في زنجبار، ووفّرت لبريطانيا قناة مباشرة لرصد الأنشطة الفرنسية في البحر الأحمر والساحل الشرقي لإفريقيا، كما ساهمت في توثيق المعلومات الاستخباراتية المتعلقة بالمنطقة، الأمر الذي مهّد لاحقاً لتدخّل بريطانيا في شؤون الحكم بعد وفاة السلطان سعيد عام 1856م، حيث استخدمت لندن وجودها الدبلوماسي للتأثير في الصراع على خلافة الحكم بين أبنائه.[13]

ثانياً : المعاهدات البريطانية – العمانية

١ـ معاهدة الصداقة البريطانية – العُمانية لعام 1798:

تُعد معاهدة الصداقة التي وُقعت بين سلطنة عُمان وبريطانيا عام 1798 إحدى أبرز محطات التفاعل السياسي بين الخليج العربي والقوى الاستعمارية الأوروبية في نهايات القرن الثامن عشر، حيث جاءت هذه المعاهدة في سياق تصاعد التنافس الدولي على النفوذ في المحيط الهندي، وخصوصاً بين بريطانيا وفرنسا، وكانت تمثل حجر الزاوية في بدء مرحلة جديدة من العلاقات البريطانية العمانية التي استمرت لعقود طويلة [14].

أولاً: السياق التاريخي

[13]- Al-Mukadam, Mohammed, "A Survey of Diplomatic and Commercial Relations Between the United States and Oman in Zanzibar, 1828-1856" (1990).

[14] -Robert Alston & Stuart Laing, A History of the British-Omani Relations 1650-1970 , Gilmarsh Publishing, 2013.

شهدت نهايات القرن الثامن عشر حالة من التنافس الأوروبي على طرق التجارة البحرية إلى الهند، وكانت عُمان – بحكم موقعها الاستراتيجي المطل على بحر العرب والمحيط الهندي – تمثّل نقطة ارتكاز حيوية. وقد ازدادت أهمية عُمان بالنسبة لبريطانيا بعد الحملة الفرنسية على مصر (1798)، حيث خشي البريطانيون من اتساع النفوذ الفرنسي إلى الخليج العربي، وخصوصاً في ظل مساعي فرنسا للتواصل مع حكّام الخليج وتحريضهم ضد البريطانيين [15].

في هذا السياق، وجدت بريطانيا في السلطان سعيد بن أحمد بن سعيد، الذي كان يحكم عُمان آنذاك، شريكاً مثالياً لعقد تحالف يحمي مصالحها التجارية والسياسية، وكان السلطان منفتحاً على التعاون بشرط الحفاظ على السيادة العُمانية وعدم التدخل في شؤونها الداخلية.

ثانياً : نصوص المعاهدة

تم توقيع معاهدة الصداقة بين المبعوث البريطاني ديفيد سيتون وسلطان عمان بتاريخ 12 أكتوبر 1798. وقد احتوت المعاهدة على عدة بنود، من أبرزها [16] :

1. احترام السيادة العُمانية وعدم تدخل بريطانيا في الشؤون الداخلية للدولة.

2. ضمان سلامة السفن البريطانية في الموانئ العُمانية، والسماح لها بالرسو والتزود بالمؤن دون عوائق.

[15]- Treaty of Friendship,Commerce and Navigation between His Majesty in respect of the United Kingdom of Great Britain and Northern Ireland and the Sultan of Muscat and OmanMuscat, 20th December, 1951.

[16]- سمير محمد علي، العلاقات العُمانية البريطانية (1798–1856). مجلة العلوم الاجتماعية، مجلّد 14، عدد 3 ، 307–310.

3. تسهيل التجارة البريطانية داخل الأراضي العُمانية، مع تقديم تسهيلات جمركية وتجار مخولين بالتعامل.

4. تعهد عُماني بعدم السماح لأي قوة أوروبية (خاصة فرنسا) باستخدام موانئ السلطنة ضد المصالح البريطانية.

كانت هذه البنود تُشكل بمجموعها أساساً لتحالف غير متكافئ من حيث القوة، لكنه كان مقبولاً من الطرف العُماني في ظل التهديدات الإقليمية المتعددة .

ثالثاً : النتائج

من وجهة النظر البريطانية، شكّلت هذه المعاهدة اختراقاً استراتيجياً في الخليج العربي، إذ مكّنتها من [17] :

١. ضمان طريق آمن إلى الهند عبر موانئ سلطنة عمان.

2. التحكم غير المباشر بالسياسات البحرية في منطقة بحر العرب والخليج.

3. إغلاق الباب أمام أي وجود فرنسي رسمي أو عسكري في عمان.

أما من الجانب العُماني، فقد اعتُبرت المعاهدة ضماناً سياسياً مؤقتاً في مواجهة التهديدات الإقليمية، لكنها كانت أيضاً بداية لمرحلة من الاعتماد المتبادل غير المتوازن بين عُمان وبريطانيا، ظهرت معالمه لاحقاً في تدخل بريطانيا في شؤون الخلافة العُمانية، وتقسيم السلطنة بعد وفاة السيد سعيد بن سلطان عام 1856 [18].

[17]- غانم، وئام. المعاهدة العُمانية - البريطانية عام 1798م، مجلة قلعة التاريخ، سلطنة عُمان، يونيو 2020 .
[18]- Dr. Jeremy Jones & Nicholas Ridout, A History of Modern Oman, Cambridge University Press, 2015.

2- المعاهدة البريطانية - العُمانية عام 1800

عُقِدت المعاهدة الرسمية في 18 يناير 1800، وأبرمها الكابتن جون مالكوم (ممثل شركة الهند الشرقية وحاكم بومباي آنذاك)، بالنيابة عن الحكومة البريطانية، ووقعها عن الجانب العُماني السيد سلطان بن أحمد. كانت هذه خطوة رسمية تعزز وتنظم العلاقة التي سبق وقد تأسست في عام 1798 [19].

أولاً : البنود القانونية والسياسية

من أهم البنود الواردة في نص المعاهدة [20]:

أ. الإقامة الدبلوماسية الدائمة

نصت المعاهدة على إنشاء "مقر" دائم لممثل بريطاني في ميناء مسقط، وهو ما يمثل تشديداً للعلاقة وتحويلها إلى تبادل دبلوماسي مستمر.

ب. وعد الصداقة الأبدية

تضمنت صيغة بلاغية تعهداً بصداقة دائمة وعلاقات تتواصل "إلى نهاية الزمان، وحتى تكمل الشمس والقمر دورتهما الأبدية." هذه العبارات الرمزية منحت الاتفاقية عمقاً قانونياً رمزياً لامس الثقافة الدبلوماسية حينها.

[19] -Robert Alston & Stuart Laing, A History of the British-Omani Relations 1650-1970, 2012, p 75.
[20] -Stuart Laing, Oman and Britain: 220 years, .

ج. استبعاد القوى الأجنبية

دعم المعاهدة تصريحاً بمنع التدخل أو إقامة حضور فرنسي أو هولندي ضمن النفوذ العماني، وذلك لتعزيز النفوذ البريطاني.

د. حماية التجارة والملاحة

شملت المعاهدة ضمان سلامة السفن التجارية البريطانية في موانئ عُمان، وتسهيل مرورها وحمايتها من القرصنة، وقد سبب هذا تقدّماً في الحماية البحرية المشتركة، لا سيما ضد قواسم البحر.

هـ. تنظيم مكافحة القرصنة

حافظت بريطانيا على التعاون مع مسقط في جهودها للقضاء على القرصنة، وهي استراتيجية أساسية لحماية التجارة البحرية البريطانية.

ثانياً: الأبعاد الاستراتيجية والاقتصادية [21]

أ. تعزيز النفوذ البريطاني في الخليج

مكنت المعاهدة بريطانيا من ترسيخ حضور سياسي وحماية ملاحية على مسار طريق الهند-عُمان.

ب. رفع مستوى التنسيق المشترك لمكافحة القرصنة

تعاونا مستمراً بين البحرية البريطانية ومسقط لمكافحة قراصنة قواسم وأعداء آخرين، ما عزّز أمن البحار.

[21]- هيئة الوثائق والمحفوظات الوطنية – سلطنة عُمان ، العلاقات العُمانية البريطانية من القرن السابع عشر إلى نهاية القرن التاسع عشر (الجزء الثاني) ، 2021. ص 454 .

ج. تمهيد لمفاوضات مستقبلية

شكّلت هذه المعاهدة الأساس لتوقيع معاهدات لاحقة، منها:

1- معاهدة التجارة والملاحة (1839)، التي ألزمت بريطانيا بحقوق تجارية أقوى.

2- معاهدات لاحقة لتعزيز النفوذ في أعقاب تقسيم السلطنة بعد وفاة سعيد بن سلطان (1856)، وصولاً إلى معاهدات مثل 1891 و1951 [22].

5. الأثر السياسي والتاريخي

أ. على المدى القصير

أنشأت المعاهدة مقراً بريطانياً فعلياً في مسقط، ما دعّم استقرار العلاقات بين الطرفين، وأكّدت حضور بريطانيا المؤسسي والعسكري في المنطقة.

ب. على المدى الطويل

رسّخت نمط "شبه الحماية البريطانية" على مسقط دون أن تفرض الاستعمار التام، وظهرت لاحقاً مظاهر تدخل في الشؤون السياسة الداخلية، لا سيما بعد تقسيم السلطنة عام 1856 [23].

3. بعثة إدوارد كومت ومعاهدة 1844م

أ. السياق التاريخي والدوافع الفرنسية

[22]- أ.د.جمال زكريا قاسم، دولة البوسعيد في عُمان وشرق منذ فطرها وحتى نهاية حكمها في زنجبار وبداية عهدها الجديد في عُمان (1741-1970)،

[23]-Stuart Laing, Oman and Britain: 220 years", First Forum, 2022.

مع بلوغ منتصف القرن التاسع عشر سعَت فرنسا إلى تعزيز وجودها الاقتصادي والدبلوماسي شرق إفريقيا والخليج العربي، بعد أن شهدت نزاعاتها في الجزائر ومصر فترات ضعف مؤقتة ضمن هذه الاستراتيجية، أُرسل إدوارد كومت (Edouard Comte) في عام 1844م كمبعوث رسمي إلى زنجبار، حيث كان السلطان سعيد بن سلطان قد نقل مركز حكمه، حيث جاءت المهمة الفرنسية تهدف إلى التأسيس لعلاقة دبلوماسية رسمية مبنية على مصالح تجارية مشتركة وتفكيك الحصار البريطاني على التنافس الأوروبي في المنطقة امتدت المفاوضات على عدة أشهر رافقتها حركة بحرية فرنسية بقيادة الأسطول المرافق للبعثة [24].

توجت المباحثات بتوقيع معاهدة صداقة وتجارة في 4 نوفمبر 1844م، سُميت بـ"معاهدة زنجبار – فرنسا". وقد تضمن نصها مجموعة مواد أساسية متعلقة بالتجارة والتمثيل الدبلوماسي، أبرزها [25]:

1. الامتيازات التجارية

- منح فرنسا صفة "الدولة الأكثر تفضيلاً"، ما أتاح لرعاياها التمتع بنفس التسهيلات التي تخضع لها القوى الكبرى الأخرى، خصوصاً في الرسوم الجمركية وحماية المصالح التجارية.
- تحديد الرسوم الجمركية بنسبة لا تتجاوز 5٪ على واردات وصادرات التجار الفرنسيين، بما يعزز تنافسية السلع الفرنسية في أسواق عمان وزنجبار.

2. التمثيل الدبلوماسي

اتفاق على تأسيس قنصلية فرنسية دائمة لكل من زنجبار ومسقط، لتصبح بؤرة رسمية للدبلوماسية الفرنسية في قلب النفوذ العماني.

3. حرية الملاحة

[24] -Nicolas Drocourt, La France et le sultanat de Mascate et Oman au XIXe siècle: Les relations diplomatiques et consulaires de 1840 à 1880,p 85-110.

[25]- أحمد حمود المعمري ، عمان وشرقي إفريقيا، وزارة التراث والثقافة ص 166.

منح السفن الفرنسية حق المرور دون قيود عبر المياه الإقليمية العمانية، ما شكل تحدياً للاحتكار البحري البريطاني في المحيط الهندي.

4. حماية الحقوق القانونية

نصت المعاهدة على ضمان معاملة عادلة لرعايا فرنسا أمام المحاكم العُمانية، بالإضافة إلى امتياز "الحصانة القنصلية" لأفراد البعثة الفرنسية، الأمر الذي يعزز الطابع الرسمي والاقتراب مما يُعرف لاحقاً بـ"العقود الكابتولارية".

ب. الآثار وردود الفعل

على فرنسا: مثّلت المعاهدة نجاحاً دبلوماسياً مهماً واجهة لكسر الحصار البريطاني، ومنصة لإطلاق النفوذ الفرنسي في برّ ومسّطح مياه إمبراطورية الصومال وعُمان.

على عمان: أضحت المعاهدة اعترافاً بدور السلطنة الاستراتيجي، وأعطتها موضع قوة جديداً للتفاوض بين القوى الأوروبية، لكن السلطان سعيد بن سلطان تحسّب لتبعات هذا التقدم، ولم يدمحه بعيداً عن النفوذ البريطاني، فاحتفظ بتوازنه.

على بريطانيا: رأت المعاهدة خطراً محتملاً يظهر تمرداً على الهيمنة البريطانية، ما دفعها لتشديد الرقابة على الأنشطة الفرنسية لاحقاً ومحاولة إحباط تمددها، خصوصاً في موانئ شرق إفريقيا [26].

٤. المبعوثون الفرنسيون إلى "فرنجيار" (1840–1860)

تمثل الفترة بين عامي 1840 و1860 مرحلة دقيقة في العلاقات الفرنسية□العمانية، لاسيما في أعقاب توقيع معاهدة 1844، حيث بدأت فرنسا في تفعيل تمثيلها القنصلي في كل من مسقط وزنجبار – والتي عُرفت لدى بعض المراسلات الدبلوماسية الفرنسية باسم "فرنجيار"، في إشارة

[26]-Florence Hellot-Bellier, Diplomatic Networks: France in , Persia,1830□1870, 2018, p. 131-136.

محتملة إما إلى تحوير لفظي لموقع معين، أو إلى شبكة بحرية متصلة بالمستعمرات الفرنسية في المحيط الهندي (خاصة ريونيون وجزر القمر) [27].

كان الهدف المركزي من هذه البعثات هو تعزيز المصالح الفرنسية التجارية والدبلوماسية في شرق إفريقيا، في وقتٍ كانت فيه زنجبار قد تحوّلت إلى مركز الثقل السياسي والاقتصادي لعمان تحت حكم السيد سعيد بن سلطان. كانت فرنسا تدرك أهمية هذه المنطقة بوصفها بوابة إلى أسواق القرنفل والعاج والتوابل، فحرصت على إرسال مبعوثين سياسيين وتجاريين بشكل دوري، من أبرزهم .

الكابتن بروكان (Brocand) الذي لعب دوراً في مراقبة تنفيذ معاهدة 1844، ومحاولة إقامة روابط مباشرة مع أبناء السيد سعيد بعد وفاته عام 1856، وأيضاً ميشو (Michaud) ، دوراند (Durand) وهما قنصلان توليا مهام التمثيل الفرنسي في زنجبار خلال خمسينيات القرن التاسع عشر

ركز هؤلاء المبعوثون على النقاط التالية [28]:

١. تسهيل مرور البضائع الفرنسية إلى زنجبار عبر البحر الأحمر والهند الفرنسية.

2. التنسيق مع القنصل البريطاني لتفادي التصادم المباشر مع النفوذ البريطاني، الذي بلغ ذروته بعد تقسيم سلطنة عمان إلى شطرين (زنجبار وعمان الداخلية).

3. مراقبة التجارة البحرية في المحيط الهندي ومحاولة تقديم تقارير استخباراتية إلى وزارة الخارجية الفرنسية حول التوازنات الإقليمية.

[27]- عبدالله التركي، العلاقات العمانية الفرنسية في عهد سعيد بن سلطان 1856-1806 م/1221-1273 هـ العلاقات العمانية الفرنسية في عهد السلطان سعيد بن سلطان 1221-1273 هـ / 1806-1856 م، يناير 2006.
[28]- -ROBERT GERAN LANDEN , OMAN SINCE 1856 ,PRINCETON UNIVERSITY ,1967,p163,

ورغم الطابع النشط لهذه البعثات، فإن النفوذ الفرنسي ظل محدوداً في مواجهة التفوق البريطاني، لعدة أسباب رئيسية:

1. الضعف العسكري الفرنسي البحري في المحيط الهندي مقارنة بالأسطول البريطاني القوي.

2. تردد السلطان ماجد بن سعيد – حاكم زنجبار بعد وفاة والده – في الانحياز صراحة لفرنسا، خوفاً من ردود فعل بريطانية قد تمس بتوازن سلطته.

3. الانقسام السياسي بين أبناء سعيد بن سلطان بعد وفاته عام 1856، ما أتاح لبريطانيا أن تتدخل كوسيط وتفرض "تحكيم اللورد كانينغ" (Canning Award) الذي أسفر عن التقسيم الرسمي للسلالة العمانية.[29]

ورغم ذلك، تمكن الفرنسيون من تحقيق بعض النجاحات الرمزية، منها:

١. تأسيس وكالة تجارية في زنجبار أشرفت على تصدير القرنفل إلى مرسيليا.

2. تنظيم زيارة الحاج درويش العماني إلى باريس في أواخر خمسينيات القرن، وهو ما يُعد من أوائل التبادلات الدبلوماسية المباشرة بين مسقط والحكومة الفرنسية.

3. رحلة السفينة الفرنسية "لا كارولين" (La Caroline) عام 1849، والتي جلبت شحنة رمزية من زنجبار إلى فرنسا، في محاولة لإنعاش التجارة الثنائية.

وبذلك، فإن البعثات الفرنسية إلى "فرنجيار" جسّدت المرحلة الثانية من التغلغل الفرنسي في المجال العماني□الإفريقي، لكنها بقيت رهينة حدود الهيمنة البريطانية ومقيدة بالموقع الجغرافي

[29]- Edward A. Alpers , French Imperialism in the Indian Ocean: The Struggle for "Influence" in Zanzibar (1840–1860),The International Journal of African Historical Studies , (1975)

الاستراتيجي لصالح لندن، وهو ما جعل هذه البعثات تلعب دوراً مهماً في الحرب الدبلوماسية الباردة بين القوى الأوروبية، دون أن تُحدث اختراقاً حاسماً في الخارطة السياسية للمنطقة [30].

ثالثاً : البعثات الدبلوماسية الفرنسية إلى عُمان (1800–1861م) – نتائجها وردود الفعل العُمانية

مع بدايات القرن التاسع عشر، شرعت فرنسا في تعزيز وجودها في منطقة الخليج العربي، مدفوعة برغبتها في كسر الهيمنة البريطانية التي ترسخت بعد إخفاق الحملة الفرنسية على مصر (1798–1801م)، وقد كان التوجه الفرنسي نحو سلطنة عُمان جزءاً من استراتيجية أوسع هدفت إلى توسيع النفوذ الفرنسي في المحيط الهندي، مستفيدة من مرونة السياسة العُمانية في عهد السيد سعيد بن سلطان، الذي سعى إلى تحقيق توازن دبلوماسي بين القوى الأوروبية المتنافسة، لا سيما بريطانيا وفرنسا [31].

1. المبعوث كلود ماثيو دي عاردان (1807–1809م)

أ. السياق التاريخي والتوجهات الفرنسية

في عام 1807م، مع بداية التوسع الإمبراطوري الفرنسي في الشرق أُرسل كلود ماثيو دي عاردان المبعوث الفرنسي الرسمي إلى منطقة الخليج العربي بهدف فتح قنوات دبلوماسية وتجارية مع سلطنة عمان، وكانت هذه البعثة جزءاً من سياسة فرنسا الأكبر لكسر هيمنة القوى البحرية الأوروبية التقليدية وعلى رأسها بريطانيا في مناطق البحر الأحمر والخليج العربي، خلال هذه

[30]- د. سليمان بن حمود بن سليمان المعمري، العلاقات العُمانية الفرنسية (1715-1909م) ، جامعة السلطان قابوس، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، 2019.
[31]- المعيلي، رجا بن عتيق، العلاقات الخارجية لسلطنة عُمان خلال الفترة 1861–1891م ، جامعة القصيم، كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية، قسم التاريخ، 1431هـ/2010م.

الفترة كانت فرنسا قد خسرت حملتها العسكرية في مصر عام 1801، لكن جهودها لتوسيع نفوذها في مناطق استراتيجية مثل عُمان كانت جزءاً من محاولاتها لتعويض خسائرها وتحقيق نفوذ أكبر في المنطقة [32].

ب. أهداف بعثة دي عاردان

بعثت الحكومة الفرنسية دي عاردان إلى مسقط في إطار جهودها لاستكشاف إمكانيات التعاون التجاري مع عمان التي كانت تعد مركزاً تجارياً حيوياً في الخليج العربي، كان الهدف الأساسي من البعثة هو تحفيز السلطنة على توقيع اتفاقية تجارية مع فرنسا، حيث كانت عمان في وقتها تشهد فترة من الانفتاح النسبي على القوى الأوروبية خاصة في ظل حكم السيد سعيد بن سلطان.

علاوة على ذلك، سعى دي عاردان إلى إرساء علاقات سياسية وثيقة مع سلطنة عمان، وذلك في سياق الحرب البحرية الأوروبية المستمرة ضد بريطانيا، حيث كانت فرنسا تأمل في أن تكون عمان نقطة انطلاق للتوسع التجاري في الشرق بما يخدم مصالحها الاقتصادية ويكسر الحصار البريطاني المفروض على تجارتها في المحيط الهندي [33].

ج. التحديات والصعوبات التي واجهت البعثة

ورغم الجهود الفرنسية كانت البعثة تواجه تحديات سياسية واقتصادية كبيرة، حيث كانت بريطانيا قد أبرمت عدة اتفاقيات مع عمان، وكان لها تأثير كبير على السياسات العمانية وكانت سلطنة عمان تسعى للحفاظ على استقلالها النسبي في مواجهة القوى الاستعمارية الأوروبية، وبالتالي كانت مترددة في توقيع أي اتفاقات قد تؤدي إلى تزايد التأثير الأوروبي في شؤونها [34].

[32] -Nicolas Drocourt , La France et le sultanat de Mascate et Oman au XIXe siècle: Les relations diplomatiques et consulaires de 1840 à 1880

[33]- سليم طه التكريتي ، الصراع على الخليج العربي ، وزارة الثقافة والإرشاد ، ١٩٦٦، ص٦٠- 64.

[34]- أ. سعيد بن محمد بن عبد الله البلوشي، العلاقات العُمانية الأوروبية في القرن التاسع عشر (1800-1856م)، جامعة السلطان قابوس، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، 2012، ص 145-180..

أحد أبرز التحديات التي واجهت بعثة دي عاردان كان ضغوط بريطانيا على عمان لمنعها من توسيع علاقاتها التجارية والدبلوماسية مع فرنسا، من جانب آخر، كانت عمان قد دخلت في سلسلة من المعاهدات مع بريطانيا، مما جعل السلطان سعيد بن سلطان حذراً من اتخاذ خطوات قد تثير ردود فعل بريطانية عدائية، وعلى الرغم من الحذر العماني فقد استقبلت البعثة بكثير من الحذر وسمحت للفرنسيين بعقد بعض اللقاءات مع كبار المسؤولين العمانيين. ومع ذلك، لم تُسفر المفاوضات عن أي اتفاق رسمي، حيث كان السلطان سعيد يميل إلى الحفاظ على حياده في مواجهة التنافس الأوروبي. كما كانت البعثة محاطة بعوامل خارجية كثيرة، مثل الضغوط العسكرية البريطانية المستمرة في البحر الأحمر والخليج العربي، حيث كانت بريطانيا تسعى لضمان تفوقها البحري في تلك المنطقة الاستراتيجية. وعليه، أظهرت سلطنة عمان حذراً في إظهار أي نوع من التفاهمات العميقة مع الفرنسيين [35].

هـ. نتائج البعثة

لم تحقق بعثة دي عاردان أهدافها الدبلوماسية والاقتصادية الرئيسية في توقيع اتفاقيات تجارية أو تعزيز النفوذ الفرنسي بشكل جاد في عمان، كانت البعثة تعتبر محكومة بفشل استراتيجي إلى حد ما، إذ لم تسفر عن أي تغييرات جوهرية في العلاقات العمانية الفرنسية ومع ذلك، كانت هذه البعثة بمثابة خطوة تمهيدية لتعزيز العلاقات الفرنسية مع سلطنة عمان في المستقبل، حيث فتح التواجد الفرنسي في الخليج من خلال هذه البعثة الباب لبعثات أخرى في السنوات التالية والتي حاولت فرنسا استغلال التنافس البريطاني الفرنسي لتحقيق مكاسب أكبر في المنطقة [36].

٢. المبعوثون التجاريون الفرنسيون إلى عُمان (1800–1810م)

أ. السياق العام والتوجهات الفرنسية

مع مطلع القرن التاسع عشر، ومع استمرار النزاعات الأوروبية (الحروب النابليونية)، سعَت فرنسا إلى إعادة تنشيط علاقاتها التجارية مع سلطنة عُمان واستعادة حضورها في المحيط الهندي،

[35]- محمد الدقن، العلاقات العمانية الفرنسية 1715-1909، 1999، جامعة الإسكندرية (كلية الآداب)، ص 125-140 .

[36]- رياض جاسم الأسدي ، التنافس البريطاني الفرنسي للسيطرة على عمان 1888-1904م،

وقد كانت لهذه المساعي طابعٌ غير رسمي حيث أرسل التجار والوكلاء الفرنسيون دون دعم دبلوماسي مباشر في محاولة استكشاف فرص تجارية متجددة وإقامة روابط اقتصادية بعيداً عن النفوذ البريطاني المتزايد .

ب. طبيعة البعثات وأنشطتها

جاءت هذه البعثات كزيارات تجارية ودراسات سوقية، هدفها التحقق من الفرص التجارية لعُمان في تجارة القرنفل والعاج والتوابل والاستفادة من موقعها الاستراتيجي، وتكللت إحدى تلك المبادرات بسيطرة الفرنسيين على سلطات جمركية رمزية، كما حصلوا على امتيازات في المناولة المينائية خاصة عبر التمثيل التجاري لجزيرة ريونيون وجزر القمر مع عُمان ، ورغم أن البعثات كانت مؤقتة وغير ملحقة بمعاهدة إلا أنها فتحت نافذة لتوسيع التجارة الفرنسية مستقبلاً [37].

ج. التحديات التي واجهوها

واجه التجار والوكلاء الفرنسيون عدة صعوبات، أبرزها [38]:

1. هيمنة السلطات البريطانية على الموانئ العمانية، مما حد من القدرة الفرنسية على إبرام أي اتفاقيات رسمية أو دائمة.

2. ضعف التمثيل الرسمي لفرنسا آنذاك، فقد كانت منشغلة بالحروب الأوروبية مما أعاق الدعم المؤسساتي للبعثات التجارية .

3. المنافسة من تجار الهنود الذين سيطروا على الاقتصاد المحلي والتجارة البحرية واستحوذوا على نفوذ مها تجاري محلي وعالمي .

د. النتائج والآثار العاجلة

[37] -Stephane Pradines, From Zanzibar to Kilwa : Eighteenth and Nineteenth Century Omani Forts in East Africa, Aga .Khan University, 2019.

[38]- عبد الله بن صالح الفارسي، عُمان والتجارة البحرية في المحيط الهندي في القرن التاسع عشر، 2009، دار الفرقد للنشر والتوزيع ، ص 150-170.

لم تؤدِ هذه المبادرات غير الرسمية إلى توقيع اتفاقيات رسمية في هذه الفترة، لكنها ساهمت في:

1- وضع فرنسا في موضع ملاحظة من قِبل السُلطان سعيد بن سلطان لعودتها كقوة تجارية محتملة.

2- بناء سمعة فرنسية مع قطاع من التجار العمانيين، وخاصة أولئك المرتبطين بتجارة أفريقيا الشرقية.

3- تمهيد الطريق لعلاقات رسمية لاحقة بدأت تتبلور بعد فتح القنصلية الفرنسية عام 1844، والتي ظهرت بعد هذه المرحلة التجارية المبكرة [39].

3. بعثة إدوارد كومت ومعاهدة 1844م

أ. السياق التاريخي والدوافع الفرنسية

مع بلوغ منتصف القرن التاسع عشر سعَت فرنسا إلى تعزيز وجودها الاقتصادي والدبلوماسي شرق إفريقيا والخليج العربي، بعد أن شهدت نزاعاتها في الجزائر ومصر فترات ضعف مؤقتة ضمن هذه الاستراتيجية، أُرسل إدوارد كومت (Edouard Comte) في عام 1844م كمبعوث رسمي إلى زنجبار، حيث كان السلطان سعيد بن سلطان قد نقل مركز حكمه، حيث جاءت المهمة الفرنسية تهدف إلى التأسيس لعلاقة دبلوماسية رسمية مبنية على مصالح تجارية مشتركة وتفكيك الحصار البريطاني على التنافس الأوروبي في المنطقة امتدت المفاوضات على عدة أشهر رافقتها حركة بحرية فرنسية بقيادة الأسطول المرافق للبعثة. توجت المباحثات بتوقيع معاهدة صداقة وتجارة في 4 نوفمبر 1844م، سُميت بـ"معاهدة زنجبار – فرنسا". وقد تضمن نصها مجموعة مواد أساسية متعلقة بالتجارة والتمثيل الدبلوماسي، أبرزها [40]:

1. الامتيازات التجارية

[39]- عبدالله التركي، العلاقات العمانية الفرنسية في عهد سعيد بن سلطان 1856-1806 م/1221-1273 هـ العلاقات العمانية الفرنسية في عهد السلطان سعيد بن سلطان 1221-1273 هـ / 1806-1856 م، يناير 2006.
[40]- أحمد حمود المعمري ، عمان وشرقي إفريقيا، وزارة التراث والثقافة ص 166.

- منح فرنسا صفة "الدولة الأكثر تفضيلاً"، ما أتاح لرعاياها التمتع بنفس التسهيلات التي تخضع لها القوى الكبرى الأخرى، خصوصاً في الرسوم الجمركية وحماية المصالح التجارية.
- تحديد الرسوم الجمركية بنسبة لا تتجاوز 5٪ على واردات وصادرات التجار الفرنسيين، بما يعزز تنافسية السلع الفرنسية في أسواق عمان وزنجبار.

2. التمثيل الدبلوماسي

اتفاق على تأسيس قنصلية فرنسية دائمة لكل من زنجبار ومسقط، لتصبح بؤرة رسمية للدبلوماسية الفرنسية في قلب النفوذ العماني.

3. حرية الملاحة

منح السفن الفرنسية حق المرور دون قيود عبر المياه الإقليمية العمانية، ما شكل تحدياً للاحتكار البحري البريطاني في المحيط الهندي.

4. حماية الحقوق القانونية

نصت المعاهدة على ضمان معاملة عادلة لرعايا فرنسا أمام المحاكم العُمانية، بالإضافة إلى امتياز "الحصانة القنصلية" لأفراد البعثة الفرنسية، الأمر الذي يعزز الطابع الرسمي والاقتراب مما يُعرف لاحقاً بـ"العقود الكابتولارية".

ب. الآثار وردود الفعل.

على فرنسا: مثّلت المعاهدة نجاحاً دبلوماسياً مهماً واجهة لكسر الحصار البريطاني، ومنصة لإطلاق النفوذ الفرنسي في برّ ومسّطح مياه إمبراطورية الصومال وعُمان.

على عمان: أضحت المعاهدة اعترافاً بدور السلطنة الاستراتيجي، وأعطتها موضع قوة جديداً للتفاوض بين القوى الأوروبية، لكن السلطان سعيد بن سلطان تحسّب لتبعات هذا التقدم، ولم يدمحه بعيداً عن النفوذ البريطاني، فاحتفظ بتوازنه.[41]

على بريطانيا: رأت المعاهدة خطراً محتملاً يظهر تمرداً على الهيمنة البريطانية، ما دفعها لتشديد الرقابة على الأنشطة الفرنسية لاحقاً ومحاولة إحباط تمددها، خصوصاً في موانئ شرق إفريقيا .

٤. المبعوثون الفرنسيون إلى "فرنجيار" (1840–1860)

تمثل الفترة بين عامي 1840 و1860 مرحلة دقيقة في العلاقات الفرنسية□العمانية، لاسيما في أعقاب توقيع معاهدة 1844، حيث بدأت فرنسا في تفعيل تمثيلها القنصلي في كل من مسقط وزنجبار – والتي عُرفت لدى بعض المراسلات الدبلوماسية الفرنسية باسم "فرنجيار"، في إشارة محتملة إما إلى تحوير لفظي لموقع معين، أو إلى شبكة بحرية متصلة بالمستعمرات الفرنسية في المحيط الهندي (خاصة ريونيون وجزر القمر).

كان الهدف المركزي من هذه البعثات هو تعزيز المصالح الفرنسية التجارية والدبلوماسية في شرق إفريقيا، في وقتٍ كانت فيه زنجبار قد تحوّلت إلى مركز الثقل السياسي والاقتصادي لعمان تحت حكم السيد سعيد بن سلطان. كانت فرنسا تدرك أهمية هذه المنطقة بوصفها بوابة إلى أسواق القرنفل والعاج والتوابل، فحرصت على إرسال مبعوثين سياسيين وتجاريين بشكل دوري، من أبرزهم [42]

.

الكابتن بروكان (Brocand) الذي لعب دوراً في مراقبة تنفيذ معاهدة 1844، ومحاولة إقامة روابط مباشرة مع أبناء السيد سعيد بعد وفاته عام 1856، وأيضاً ميشو (Michaud) ، دوراند

[41]-Florence Hellot-Bellier, Diplomatic Networks: France in , Persia,1830□1870, 2018, p. 131-136.
[42] -Nicolas Drocourt , La France et le sultanat de Mascate et Oman au XIXe siècle: Les relations diplomatiques et consulaires de 1840 à 1880

(Durand) وهما قنصلان توليا مهام التمثيل الفرنسي في زنجبار خلال خمسينيات القرن التاسع عشر.

ركز هؤلاء المبعوثون على النقاط التالية [43]:

١. تسهيل مرور البضائع الفرنسية إلى زنجبار عبر البحر الأحمر والهند الفرنسية.

2. التنسيق مع القنصل البريطاني لتفادي التصادم المباشر مع النفوذ البريطاني، الذي بلغ ذروته بعد تقسيم سلطنة عمان إلى شطرين (زنجبار وعمان الداخلية).

3. مراقبة التجارة البحرية في المحيط الهندي ومحاولة تقديم تقارير استخباراتية إلى وزارة الخارجية الفرنسية حول التوازنات الإقليمية.

ورغم الطابع النشط لهذه البعثات، فإن النفوذ الفرنسي ظل محدوداً في مواجهة التفوق البريطاني، لعدة أسباب رئيسية:

1. الضعف العسكري الفرنسي البحري في المحيط الهندي مقارنة بالأسطول البريطاني القوي.

2. تردد السلطان ماجد بن سعيد – حاكم زنجبار بعد وفاة والده – في الانحياز صراحة لفرنسا، خوفاً من ردود فعل بريطانية قد تمس بتوازن سلطته.

[43]- -ROBERT GERAN LANDEN , OMAN SINCE 1856 ,PRINCETON UNIVERSITY ,1967,p163.

3. الانقسام السياسي بين أبناء سعيد بن سلطان بعد وفاته عام 1856، ما أتاح لبريطانيا أن تتدخل كوسيط وتفرض "تحكيم اللورد كانينغ" (Canning Award) الذي أسفر عن التقسيم الرسمي للسلالة العمانية [44].

ورغم ذلك، تمكن الفرنسيون من تحقيق بعض النجاحات الرمزية، منها [45]:

١. تأسيس وكالة تجارية في زنجبار أشرفت على تصدير القرنفل إلى مرسيليا.

2. تنظيم زيارة الحاج درويش العماني إلى باريس في أواخر خمسينيات القرن، وهو ما يُعد من أوائل التبادلات الدبلوماسية المباشرة بين مسقط والحكومة الفرنسية.

3. رحلة السفينة الفرنسية "لا كارولين" (La Caroline) عام 1849، والتي جلبت شحنة رمزية من زنجبار إلى فرنسا، في محاولة لإنعاش التجارة الثنائية.

وبذلك، فإن البعثات الفرنسية إلى "فرنجيار" جسّدت المرحلة الثانية من التغلغل الفرنسي في المجال العماني□الإفريقي، لكنها بقيت رهينة حدود الهيمنة البريطانية ومقيدة بالموقع الجغرافي الاستراتيجي لصالح لندن، وهو ما جعل هذه البعثات تلعب دوراً مهماً في الحرب الدبلوماسية الباردة بين القوى الأوروبية، دون أن تُحدث اختراقاً حاسماً في الخارطة السياسية للمنطقة.

الخاتمة

يُعالج هذا البحث موضوع الدبلوماسية البريطانية – الفرنسية في عمان خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر، من خلال تتبع طبيعة البعثات الدبلوماسية والتجارية، وما رافقها من معاهدات واتفاقيات شكّلت ملامح المرحلة، وقد أظهر المسار العام للدراسة أن الحضور

[44]- سلطان بن محمد القاسمي ، العلاقة العُمانية–الفرنسية 1715–1905، منشورات مدينة الشارقة للخدمات الإنسانية ، 1996 ، ص ٥٢

[45]- Edward A. Alpers , French Imperialism in the Indian Ocean: The Struggle for "Influence" in Zanzibar (1840–1860),The International Journal of African Historical Studies , (1975)

البريطاني اتسم بالثبات والتأثير المباشر، إذ اعتمد على تتابع البعثات وتوقيع سلسلة من المعاهدات التي عززت نفوذ بريطانيا ورسخت موقعها الاستراتيجي في عمان والخليج العربي. في المقابل، جاء النشاط الفرنسي أقل انتظاماً وأكثر محدودية، حيث غلبت عليه المحاولات التجارية التي لم ترتقِ إلى مستوى النفوذ السياسي المستدام.

أما السياسة العُمانية، فقد تجلت فيها محاولات واضحة للموازنة بين الطرفين الأوروبيين، إذ سعت إلى الحفاظ على استقلال قرارها ومصالحها الاقتصادية، غير أن الضغوط البريطانية القوية والمستمرة جعلت قدرة عمان على المناورة محدودة مع منتصف القرن، لاسيما بعد وفاة السيد سعيد بن سلطان وما تبعه من انقسام سياسي.

وبذلك فإن البحث يوضح أن عمان كانت مسرحاً لتنافس استعماري محتدم ترك بصماته العميقة على أوضاعها الداخلية والخارجية، وأسهم في إعادة تشكيل موقعها في المعادلة الإقليمية والدولية، وهو ما يمنح هذه المرحلة أهمية خاصة لفهم تطور العلاقات الدولية في الخليج العربي.

المراجع

باللغة العربية :

1. لوريمر ،(ج): دليل الخليج القسم التاريخي ،قسم الترجمة بمكتب صاحب السموأمير دولة قطر ،الدوحة،د.ط،د.ت،ج1،ص270.
2. محمد العيدروس، تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، كلية الآداب، جامعة الكويت، 1998، ص 147..
3. علي ناجح محمد، التنافس البريطاني الفرنسي في عُمان 1806 -1829. مجلة كلية المعارف الجامعة، ٢٠١٩، جامعة الموصل ، ص ١٩.

4. موقع الكتروني تم وضعه من قبل الباحثة : https://www.pdavis.nl/Frere.htm?utm ، تاريخ الوصول 2025/7/4.
5. سمير محمد علي، العلاقات العُمانية البريطانية (1798–1856). مجلة العلوم الاجتماعية، مجلّد 14، عدد 3 ، 307–310.
6. غانم، وئام. المعاهدة العُمانية - البريطانية عام 1798م، مجلة قلعة التاريخ، سلطنة عُمان، يونيو 2020 (العدد 10–11
7. هيئة الوثائق والمحفوظات الوطنية – سلطنة عُمان ، العلاقات العُمانية البريطانية من القرن السابع عشر إلى نهاية القرن التاسع عشر (الجزء الثاني) ، 2021. ص 454 .
8. أ.د.جمال زكريا قاسم، دولة البوسعيد في عُمان وشرق منذ فطرها وحتى نهاية حكمها في زنجبار وبداية عهدها الجديد في عُمان (1741-1970)،
9. أحمد حمود المعمري ، عمان وشرقي إفريقيا، وزارة التراث والثقافة ص 166.
10. عبدالله التركي، العلاقات العمانية الفرنسية في عهد سعيد بن سلطان 1806-1856 م/1221-1273 هـ العلاقات العمانية الفرنسية في عهد السلطان سعيد بن سلطان 1221-1273 هـ / 1806-1856 م، يناير 2006.
11. المعيلي، رجا بن عتيق، العلاقات الخارجية لسلطنة عُمان خلال الفترة 1861–1891م ، جامعة القصيم، كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية، قسم التاريخ، 1431هـ/2010م.
12. سليم طه التكريتي ، الصراع على الخليج العربي ، وزارة الثقافة والإرشاد ، ١٩٦٦، ص٦٠- 64.
13. محمد الدقن، العلاقات العمانية الفرنسية 1715-1909، 1999، جامعة الإسكندرية (كلية الآداب)، ص 125-140 .
14. رياض جاسم الأسدي ، التنافس البريطاني الفرنسي للسيطرة على عمان 1888-1904م،

15. عبد الله بن صالح الفارسي، عُمان والتجارة البحرية في المحيط الهندي في القرن التاسع عشر، 2009، دار الفرقد للنشر والتوزيع ، ص 150-170.
16. أحمد حمود المعمري ، عمان وشرقي إفريقيا، وزارة التراث والثقافة ص 166.
17. سلطان بن محمد القاسمي ، العلاقة العُمانية–الفرنسية 1715–1905، منشورات مدينة الشارقة للخدمات الإنسانية ، 1996 ، ص ٥٢

المراجع باللغة الإنجليزية

1. Al-Mousawi, Hussain Ben-Al-Seyed-Yousuf Hashim (1990) A history of Omani-British relations, with special reference to the period 1888-1920. PhD thesis, University of Glasgow.

2. Sir John Malcolm , The History of Persia, from the Most Early Period to the Present Time , London: John Murray, 1815, p 462-464.

3. Hilal Hajari, Oman through British Eyes: British Travel Writing on Oman from 1800 to 1970, University of Warwick, 2003.
4. David Seton ,The Journals of David Seton in the Gulf, 1800–1809, University of Exeter Press, 1995, 1-25.
5. George Percy Badger , History of the Imāms and Seyyids of ’Omān، London: Printed for the Hakluyt Society، 1871, p254.

6. James Onley (2004)، Britain’s Native Agents in Arabia and Persia in the Nineteenth Century", Comparative Studies of South Asia Africa and the Middle East.

7. Mousawi, Hussain Ben-Al-Seyed-Yousuf Hashim (1990) A history of Omani-British relations, with special reference to the period 1888-1920.PhD thesis.

8. Fatima Al-Hatimiyah & Muhammad Al-Tarawneh (2022), the journey of Captain Hammerton from Muscat to Zanzibar in the year 1257 AH / 1841 AD – Study and investigation. Journal of Misan Researches, 18(35), 160–197.

9. Al-Mukadam, Mohammed, "A Survey of Diplomatic and Commercial Relations Between the United States and Oman in Zanzibar, 1828-1856" (1990).

10. Treaty of Friendship,Commerce and Navigation between His Majesty in respect of the United Kingdom of Great Britain and Northern Ireland and the Sultan of Muscat and OmanMuscat, 20th December, 1951.

11. Stuart Laing, Oman and Britain: 220 years", First Forum, 2022.

12. Florence Hellot-Bellier, Diplomatic Networks: France in , Persia,1830□1870, 2018, p. 131-136.

13. ROBERT GERAN LANDEN , OMAN SINCE 1856 ,PRINCETON UNIVERSITY ,1967,p163,

14. Edward A. Alpers , French Imperialism in the Indian Ocean: The Struggle for "Influence" in Zanzibar (1840–1860),The International Journal of African Historical Studies , (1975)

15. Nicolas Drocourt , La France et le sultanat de Mascate et Oman au XIXe siècle: Les relations diplomatiques et consulaires de 1840 à 1880

16. Stephane Pradines, From Zanzibar to Kilwa : Eighteenth and Nineteenth Century Omani Forts in East Africa, Aga .Khan University, 2019.

17. Florence Hellot-Bellier, Diplomatic Networks: France in , Persia,1830□1870, 2018, p. 131-136.